قراءة وعرض كتاب:

ضياء النّيّرين الجامع بين علوم الطّائفتين لمؤلّفه الشيخ العلّامة المفسّر الحاج أحمد دم سوكون [1890-1973م]

Reading and View on the Book of:

"The light of Lighteners, The Combined Sciences of The Two Sects" For its Author: Shaikh, and Interpreter Scholar; Ahmed Dam Sokon (1973-1890)

الباحث/ **مام شيخ لوح**: طالب في مرحلة الدكتوراه، قسم القرآن الكريم وعلومه، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.

الأستاذ الدكتور/ **يوسف محمد عبده العواضي**: رئيس قسم القرآن الكريم وعلومه، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا

Mame cheikh Lo: a doctoral student, Department of the Holy Quran and its sciences, Al-MAdinah International University, Malaysia.

Prof. Dr. Yousef Mohammed Abdo Mohammed Al-Awadhy: The Head of department of the Holy Quran and its sciences, Al-MAdinah International University, Malaysia.

Email: mameceikhlo@live.fr

الملخص:

هدفت الدّراسة إلى التعريف بكتاب "ضياء النّيّرين"، والتعرف على مدى اهميته ومكانته بين كتب التفسير، خاصة في دولة السنغال بحكم أن صاحب الكتاب ولد وتوفي في السنغال (1973-1890)، ويرجع سبب اختيار الباحث لهذا الموضوع إلى عدّة أمور منها تنبيه الباحثين إلى الاهتمام بالجهود المبذولة في التفسير وعلوم القرآن في كتب المعاصرين، ولتحقيق أهداف البحث فقد استخدمم الباحث المنهج الوصفي والمنهج التاريخي. وخرج الباحث بالعديد من الدروس المستفادة منها: أن كتاب "ضياء النيرين" تفسير شامل، وتعرض الشيخ فيه لذكر بعض أبواب علوم القرآن وغيرها من العلوم، كالقراءات، ودراسته العددية لحروف القرآن، وكلماته، وآياته وسوره، وتناوله لقضايا النسخ من القرآن، واللّطائف القرآنيّة، وعلم الطبقات، ونحو ذلك، بالإضافة إلى المسلك الصّحيح الذي سلكه في تفسيره، وسار فيه على طريقة السلف؛ مولياً التفسير بمأثور الرّواية، وإعطائه عناية كبيرة، مهتدياً به في فهم القرآن وتفسيره، وموردا كثيراً منه في تفسيره في أغلب مواضعه، فيُعدّ تفسيره مرجعًا مهمًّا من مراجع التفسير بالرواية، وقريب منه تفسيره بالدّراية الذي قام على حيويّة دور اللغة وتداخله.

الكلمات المفتاحية: أحمد دم سوكون، ضياء النّيّرين، الجامع بين علوم الطّائفتين، تفسير القرآن الكريم.

Abstract:

The study aimed to identify the book of “The Lights of lighteners' ' and its importance among the books of interpretations, especially in Senegal because that the author of the book was born and died in Senegal (1973-1890). The reasons behind the researcher choosing this topic are: Paying attention to researchers to care for the efforts made in interpretation and The Quran Sciences in the contemporary books. For achieving the objectives of the research, the researcher used both of the descriptive and historical methods. The researcher came up with some beneficial lessons: The book of “The lights of lighteners” is a complete interpretation. In it, the Shaikh mentioned some chapters of the sciences of the Qur’an and other sciences, such as readings, and his numerical study of the letters, words, verses and

surahs of the Qur'an. Also, It dealt with issues of transcription from the Qur'an, Qur'anic subtleties, stratigraphy, and so on. In addition to the correct path that he took in his interpretation as he followed the path of the predecessors. Giving the interpretation to the narration's aphorisms, giving it great care, as a guide in understanding and interpreting the Qur'an, and quoting a lot of it in its interpretation in most of its places. Therefore, his interpretation is considered an important reference from the resources of tafsir by narration. And close to him is his interpretation of knowledge, which is based on the vitality of the role of language and its overlap.

Keywords: Ahmad Dam Sokon, The Lights of Lighteners, The Combined Sciences of the Two Sects, The interpretation of the Holy Quran.

الإطار المنهجي للقراءة:

المقدّمة:

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرّسل بقايا من أهل العلم؛ علماءَ ورثوا الأنبياء، يحيون بكتاب الله –تعالى- الموتى، ويبصرون به أهل العمى، ويدلّون من ضلّ منهم إلى الهدى، وينفون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، والصلاة والسلام على نبي أشاع النور، وبدد الظلمة وقضى على الجهل، صلى الله عليه، وعلى آله وصحابته، ومن سار على نهجهم، واقتفى آثارهم، إلى يوم الدين وبعد:

فقد جعل الله سبحانه وتعالى كتابه هدىً يهدي به الناس من الظلمات إلى النور قال الله تعالى: (الر ۚ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)[إبراهيم: 1]، وجعله فرقانا يفرق به بين الحق والباطل قال الله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1)) [الفرقان: 1].

ولهذا اعتنى أهل العلم من علماء الإسلام قديماً وحديثاً بكتاب الله تعالى، تعلّماً وتعليماً، وشرحاً، وتفسيراً، واعتنوا به عناية كبيرة، فصنّفوا في تفسيره وبيان علومه المصنّفات، وعقدوا في ذلك الحلقات، وأفنوا فيه الأعمار، وأشغلوا فيه الأفكار؛ فأخرجوا للأمة تراثاً عظيماً في خدمة كتاب الله تعالى، وبيان معانيه، وصونه من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

ولهذا أيضاً بذل الصحابة والتابعون- رضوان الله عليهم- جهودًا كبيرة في خدمة هذا الكتاب العزيز، في التفسير، والقراءات، والتجويد، وسائر علوم القرآن، كما بذل من جاء بعدهم من العلماء من تابعي التابعين، وتابعيهم، ومن بعدهم أعظم الجهود في ذلك، وها هي المكتبة الإسلامية تزخر بما يجل عن الحصر والتعداد، من هذه المؤلفات الموجود منها، فضلاً عن المفقود.

ومن صور اعتنائهم: تفسير كلام الله -جل وعلا- وبيانه، وإيضاح مشكله والوقوف على درره وفوائده، وهذه التفاسير منها ما هو مجموع في مؤلّف خاصّ، ومنها ما هو مبثوث في ثنايا كتبهم.

ولا يزال الباحثون يعتنون بتراث أولئك العلماء الجهابذة وإبراز جهودهم ومناهجهم في رسائل علميّة أكاديميّة محكّمة، فجمع على سبيل المثال: تفسير الشافعي[1] والنووي[2] وشيخ الإسلام ابن تيمية[3] وابن قيّم الجوزيّة[4]، وابن رجب[5] وابن عبد البر[6] -رحمهم الله- وغيرهم.

ولئن كان حظّ بعض التّفاسير وافراً من الشهرة والانتشار فكثر ناسخوه سابقاً، وطابعوه لاحقاً، فلقد نزل الغبار والغمار على بعض التّفاسير القيّمة؛ ذات الذّخيرة النّافعة التي لم تُعط حقّها من الدّراسة والتّحقيق، والعناية بمناهج مؤلّفيها في أسلوب تفسيريّ، وبحث مستقلّ، فحصرت الاستفادة من تلك الكتب التي لم يستفد منها إلا قليل من الباحثين.

وإذا أمعنّا النّظر في تراثنا العتيق نجد أنّ علماء منطقتنا[7] خلّفوا عدداً من التفاسير التي لم ترَ النّور بعد، ولم تجد حظّاً من العناية بالدّرس والتّحقيق، ولعلّ من أهمّ هذه التفاسير وأجلّها؛ تفسير العلّامة الشيخ أحمد دم سوكون –رحمه الله- الذي كانت له جهود علميّة عظيمة في تفسير كتاب الله تعالى والعناية به.

وتفسيره "ضياء النّيّرين" من أجلّ الكتب التي ألفت في التفسير؛ والتي جمعت تفاسيرَ الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، وهو التفسير الذي وقع اختياري عليه لأقدم بحثا علميّا للنشر في المجلّة علمية، وإنّي لأحسب أنّ الحديثَ عن هذا الإمام ونشر علمه، وبثّ مآثره، وذكر مناقبه قربة يتقرّب

---

(1) بعنوان: **(تفسير الإمام الشافعي)** رسالة دكتوراه في جامعة الخرطوم للدكتور: أحمد بن مصطفى الفرَّان.

(2) بعنوان: **(تفسير الإمام الشافعي)** رسالة دكتوراه في جامعة الخرطوم للدكتور: أحمد بن مصطفى الفرَّان.

(3) بعنوان: **(تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية)**، جمعه: الشيخ إياد القيسي وزملاؤه، طبع في دار ابن الجوزي.

(4) بعنوان: **(بدائع التفسير الجامع لما فسره ابن القيم)**، ليسري السيد محمد.

(5) بعنوان: **(تفسير ابن رجب جمعا ودراسة)**، رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية للدكتور: عبيد علي العبيد.

(6) بعنوان: **(جهود الحافظ ابن عبد البر في التفسير)**، جمعه: محمد الصوفي، وطبع في دار ابن حزم.

(7) كما حدث لتفاسير أعلام إفريقيّة الغرب أو السّوداني الغربي؛ الحظّ الأوفر من عدم الانتشار، وما ذلك إلا لتقاعس أبناء هذه المنطقة عن عرض تراث علمائهم. ومن أمثلها: كتاب: "ضياء التأويل في معاني التنزيل" في أربعة أجزاء، ألّفه العلّامة عبد الله فودي –أخو الشيخ عثمان فودي- في القرن السابع عشر الميلادي، وله أيضاً كتاب: "كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن" وفي القرن العشرين المنصرم ألّف الشيخ محمد دم السنغالي ابن عمّ العلّامة أحمد دم سوكون كتاباً في تفسير القرآن باللّهجة الولوفيّة وأسماه: "مورد الظمئان في تفسير القرآن" وللأستاذ: حسن سيلا – الباحث في المعهد التأسيسي لإفريقيا السوداء بجامعة شيخ أنت جوب دكار- كتاب باللهجة المذكورة بعنوان: **"تفسير القرآن الكريم باللغة الولوفيّة"** كما ظهر مؤخراً من منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

بها إلى الله، فكيف إذا انضمّ إلى ذلك الحديث عن القرآن الكريم وتعلّمه وتفسيره، وأحكامه، وفضائله، ولأجل ذلك كلّه أحببت أن أكون مع ركب هؤلاء الباحثين، وأشارك في هذا البحث المتواضع.

المنهج البحثي:

استخدمم الباحث في بحثه المنهج الوصفي[1]؛ وذلك لوصف هذا الكتاب، كما يستخدم المنهج التاريخي[2]؛ وذلك للتعريف به، وللوقوف على أنواع من المعرفة عن الماضي الذي يشمل كل أنواع الوثائق من السجلات ومختلف أنواع النشاط القرآني والتفسيري للشيخ الحاج أحمد دم سوكون.

إجراءات البحث:

في تعريفه للكتاب عزم الباحثُ على عدم الاقتصار لما هو مدوّن ومسطور في مصادر الإرث العلمي للشيخ المقروءة والمسموعة، بل بمجاوزة ذلك إلى السعي الحثيث إلى مقابلة أقرباء الشيخ وطلابه ومرافقيهم في عدد من المناطق، والنّقل عنهم زيادة في التّدقيق وإثراءً للمعلومة.

أسباب اختيار الموضوع:

يرجع سبب اختيار الباحث لهذا الموضوع إلى عدّة أمور تتلخّص في الآتي:

1. تنبيه الباحثين إلى الاهتمام بالجهود المبذولة في التفسير وعلوم القرآن في كتب المعاصرين.
2. أنّه ترويج للإنتاج السنغالي، وللعقلية السنغالية المفسّرة إلى دنيا الخارج الذي لا يزال يجهل الكثيرَ منها.

(1) يلجأ الباحث إلى هذا المنهج بغية التوصل إلى معرفة قطعية ومعرفة دقيقة وتفصيلية عن دراسة منهج الشيخ في التفسير. وهو "أسلوب من أساليب التحليل المركزي على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد، أو فترة أو فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية، ثم تفسيرها بطريقة موضوعية، بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة" ينظر: **رجاء دويدري**، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، الناشر: دار الفكر المعاصر-بيروت-لبنان-دار الفكر-دمشق-سورية، الطبعة: الأولى - جمادى الآخرة 1421 هـ - أيلول سبتمبر 2000م (ص: 183).

(2) وهو منهج يعرّف "مجموعة الطرائق والتقنيات التي يتبعها الباحث التاريخي والمؤرخ للوصول إلى الحقيقة التاريخية، وإعادة بناء الماضي بكل وقائعة وزواياه، وكما كان عليه في زمانه ومكانه، وبجميع تفاعلات الحياة فيه" وهذه الطرائق قابلة دوما للتطور والتكامل، مع تطور جموع المعرفة الإنسانية وتكاملها ومنهج اكتسابها، ينظر: المصدر السابق (ص: 151).

فهذه الأسباب وغيرها جعلت الباحثَ يعقد العزم على كتابة هذا البحث، سائلاً الله تعالى، التوفيق والسّداد والقبول، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

مقدمة تعريفية حول الكاتب:

فالكاتب هو المؤلف، أبو محمد الشيخ الحاج أحمد بن الأمين بار دم، المعروف بـــــ آمدو باري بن محمد بن أحمد امبك بن مَصمْبَّ أنت سليمان بن محمد الأمين دم الأكبر[1] بن مسري بن هلوار[2]، الإمام وخطيب الجامع الكبير في سوكون، المفسّر العالم العلّامة، صاحب المؤلّفات الكثيرة، والمتبحّر في كلّ العلوم والمعارف؛ من شرعيّة، ولغويّة، وفلكيّة، وكيميائيّة، وإنسانيّة وغيرها، العابد المتنسّك المجاهد الذي باع الفاني الخسيس بالباقي النّفيس، واستبدل الغاديات الفانيات بالباقيات الصّالحات، وبذل النّفس والنّفيس في سبيل الدّعوة إلى الله –سبحانه وتعالى- بالحكمة والموعظة الحسنة، والإرشاد والتّوجيه والتّربية، والتّدريس والتّأليف حتى أتاه اليقين[3].

فوالده: الشيخ محمد الأمين بار دم –رحمه الله-حفظ كتاب الله العظيم، ثمّ شرع في طلب العلم كعادة الكُتّاب في بلده، حتّى انتهى إلى مختصر الخليل فصرفته ظروف الحياة ومصاريف الأهالي عن الدّراسة إلى الاشتغال بالتّجارة؛ ممّا أتاحت له الفرصة أن يصبح غنيّا من أكابر أغنياء زملائه، وكان رجلاً كريماً كثير الإنفاق، توفّي –رحمه الله- في قرية أنجوبين غلو، سنة 1895م ودفن بها بجانب روضة أمّه؛ السّيدة مامَّتِ سُرَنْجْ والدة الشيخ محمد الأمين بار دم.

وأمّا أمّه: فهي السّيّدة البارّة آمنة جالو المشهورة بإنَّ مَوْدُو بنت حمّاد كاه وبنّا سيسي توري. وجدّه من أمّه هو حمّا نيبي؛ الشّهيرة بغزارة علمه[4]. وهذه السّيّدة كانت ثرية؛ ورثت من والدتها وأختها الشّقيقة مالاً كثيراً؛ من غنم وعبيد وحُلل وغيرها، كما ورثت من بعلها أيضاً محمد الأمين بار مثل ذلك، وكانت لها موقفاً جبّاراً محموداً، وعناية فائقة في تربية ابنها -شيخنا العلّامة الحاج أحمد

(1) ينظر: دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 16).

(2) وهو من اندمين هوصه، وهم من الشيخ عثمان فودي؛ أخ بلّ فودي، وعبد الله فودي؛ وهؤلاء الثّلاثة أبناء للشيخ موسى فودي الذي هاجر من (فُمّ هَارَ دِمْبُب)؛ من أرض فوت طور إلى هوس، وإليهم تنتمي أمّ أحمد شيخ بن المجاهد الكبير، شيخ عمر الفوتي –رحمهم الله أجمعين- وهم أي: (فُمّ هَارَ دِمْبُبِ) من بوب عبد الله دم، وهو من عقبة بن نافع القرشي الصحابي –رضي الله عنه- كما علم من نسب الفلاة، والله أعلم. انظر: ماني محمد الحاج، **الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم**، الناشر: المؤلّف 2015/08/10م، (ص: 6-7).

(3) ينظر: ماني محمد الحاج، **الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم**، الناشر: المؤلّف 2015/08/10م، (ص: 3-4).

(4) ينظر: **المصدر السابق نفسه**، (ص: 16)، و ماني محمد الحاج، **الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم**، الناشر: المؤلّف 2015/08/10م، (ص: 9).

دم- وتعليمه أحسن تربية وتعليم، ولله الحمد والشّكر فقد ظهرت عليه آثار (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِۖ)[الأعراف: ٥٨]. وهل ينبت الخطى إلّا وشيجة :: وتغرس إلّا في منابته النّخل.

مقدمة تعريفية حول الكتاب:

سماه مؤلّفه بـــ (ضياء النّيّرين الجامع بين علوم الطّائفتين) بتشديد الياء الأولى. وتسميته بهذا الاسم له مدلوله اللّغوي، ومدلوله العلمي. فمدلوله اللّغوي: "ضياء النّيّرين" اسم مركّب من كلمتين: "ضياء"، و "النّيّرين". فمعنى الضياء في اللغة: هو ما أضاء من شيء، قال الله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا)[يونس: ٥] وعن ابن كثير أنه قرأ ضيئاء بهمزتين[1].

والفرق بين الضياء والنور: أن الضياء ما يتخلل الهواء من أجزاء النور فيبيض بذلك، والشاهد أنهم يقولون ضياء النهار ولا يقولون نور النهار إلا أن يعنوا الشمس فالنور الجملة التي يتشعب منها، والضوء مصدر ضاء يضوء ضوء يقال: ضاء وأضاء أي: ضاء هو وأضاء غيره. وهما مترادفان لغة، وقد يفرق بينهما بأن الضوء: ما كان من ذات الشيء المضيء، والنور: ما كان مستفادا من غيره، وعليه جرى قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا)[يونس: ٥][2].

ومعنى النَّيّرين في اللغة[3]: النون والياء والراء كلمة تدل على وضوح شيء وبروزه.

يُقال لأخدود الطريق الواضح منه نيّر، ثم قيس على هذا نير الثوب: علمه، سمي به لبروزه ووضوحه، ومن هذا القياس النير: الخشبة على عنق الفدان بأداتها، والجمع نيران وأنيار، ورجل ذو نيرين، أي شدته ضعف شدة غيره. والنيّر: جبل.

(1) ينظر: نشوان الحميري، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م، (6/ 4025)، وأحمد التميمي، **السبعة في القراءات**، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، 1400هـ (ص: 323).

(2) ينظر: ابن مهران العسكري، **معجم الفروق اللغوية**، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، 1412هـ (ص: 332).

(3) انظر: بن فارس، **مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م، (5/ 374).

وقال الحميري: النَّيِّران: الشمس والقمر[1].

أمّا مدلوله العلميّ فهو: مراد الشيخ بهذا المسمّى "ضياء النّيّرين" ويقصد به: ضوء الشّمس والقمر[2]. ومعلوم أنّ القمر يستمدّ نوره من الشّمس كما أخبر به العلماء.

ومراده أيضاً بـ "الجامع بين علوم الطّائفتين" ويقصد به أهل الباطن والظاهر[3].

موضوع الكتاب:

هو كتاب في تفسير القرآن الكريم، ألّفه الشيخ الحاج أحمد بار دم، ويعدّ أكبر وأهّم كتبه وأشهرها على الإطلاق، بحيث يضاف ولا ينسب إليه غيره حتى شهر به فيقال: "الحاج أحمد بار دم صاحب ضياء النّيّرين". ويرجع تاريخ بدء الشيخ بالقيام بإنجاز كتابه هذا عام 1939 ميلادية.

يقول شاهد عيّان وهو صالح جاو والذي إلى يد الشيخ عام 1938م قبل البدء بكتابته بسنة: إنّ المؤلّف بدأ بالمسودّة في التاريخ المذكور، واستغرقت اثنتي عشر سنة، يجمع فيها المادّة العلميّة، وبعد ذلك أحضر مجموعة من الكتاب ليقوموا بتبييضه وتنقيحه وتصفيته، فقاموا به خير قيام في مدّة عشر سنوات كاملة[4].

(1) انظر: نشوان الحميري، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م (10/ 6813).

(2) أفاد بهذه المعلومة أحد أكبر ملازمي الشيخ، واسمه: صالح أحمد جاو من مدينة سار؛ في مقابلة أجراها معه الباحثُ: فودي دكري صاحب كتاب: "أساليب البيان في تفسير ضياء النيرين وأثرها في تأدية المعاني" بتاريخ 2011/07/23م بعد العصر في دار ابن الشيخ: الأستاذ عثمان بن أحمد دم، خريج جامعة الأزهر الشريف بمصر، وكان ممن حضر اللقاء ابنه هذا، وصهر الشيخ الحاج أحمد بن أحمد جه. ينظر: رسالة دكري فودي (ص: 7)، نقلاً عنه بتصرّف.

(3) ينظر: دم أحمد، **ضياء النّيرين الجامع بين علوم الطّائفتين**، النّاشر: مركز الدّولي للدعوة الإسلامية-ديربان-جنوب أفريقيا، الطبعة الأولى، (3/1).

(4) انظر: دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 27) في مقابلة أجراه الباحث مع صالح جاو أحد أبرز تلاميذ الشيخ.

والذي وقفتُه في هذا نقلاً بواسطة عن نجله الأكبر محمد أحمد دم فهو باختصار كالتّالي[1]:

- الابتداء: 1938م.
- تمام المسود: 1949م.
- تمام التبييض: 1957م.
- تمام المقابلة: 1959م، والإنهاء.

وعلى هذا تكون المدّة التي قضاها الشيخ في تأليف تفسيره هذا اثنتين وعشرين عاماً[2]. وهذه المدّة الطّويلة التي قضاها الشيخ في تأليف كتابه تدلّ على عنايته واهتمامه به، جمع فيه علوماً شتّى وفنوناً عديدة، في مجالات متنوّعة، وهو يقع في عشرين مجلّداً.

ولمّا انتهى الشيخ من كتابته تمّ الإعلان عنه لدى العامّة والجمهور، ونشر خبره على الملأ من قبل صديقيه هما: الحاج عثمان سك، وإبو جوب سنديكولي[3].

طبعات الكتاب:

تمت طباعة الكتاب عدة مرة، وهي على النحو التالي:

1) **الطّبعة الأولى: عام 2006م** من مركز الدّولي للدعوة الإسلامية-ديربان- جنوب أفريقيا، في 20 مجلّداً على نفقة الفخامة السّيد الرّئيس السّابق عبد الله واد، وغلافه من أجود الأغلفة وأحسنها، إلّا أن محتواه مليء بالعيوب التي أخلت أخيراً بقيمته الفنّيّة، منها[4]:

(1) ينظر: ماني محمد الحاج، **الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم**، الناشر: المؤلّف 2015/08/10م، (ص: 33).

(2) انظر: د. صمب عامر: **الأدب السنغالي العربي**، الناشر: الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط: 1978م ج1 (ص: 356)، نقلاً عنه بواسطة: دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 27).

(3) ينظر: **المصدر السّابق**، بتصرّف.

(4) ينظر: ماني محمد الحاج، **الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم**، الناشر: المؤلّف 2015/08/10م، (ص: 33-32).

- كثرة الأخطاء في كتابة بعض الحروف؛ ككتاب الغين مكان الألف، أو الألف مكان القاف ونحوها.
- عدم التّناسق بين بعض العبارات، حتّى القارئ الفطن ليدرك سقوط بعض الحروف، أو بعض الكلمات، أو حتّى بعض الجمل أو الفقرات من أماكنها.
- عدم فهرست الأجزاء، والسّور، والموضوعات، ممّا جعل الباحث فيه يلاقي بكثير من الصّعوبات لدى بحثه.
- عدم تخصيص صفحات لتصويب الأخطاء المجودة في الأجزاء.

ولعلّ هذه كلّها وغيرها ترجع إلى عدم الإتقان الجيّد لدى المعنيّين بكاتبته، وكثافة العمل لديهم، مع قلّة عددهم وعدّتهم، وتسابقهم مع الوقت المحدّد لهم عند عقد صفقة الطّباعة.

ورغم هذه وذاك، مازال ولا يزال الذين يريدون الاستفادة منه يستفيدون، ويسقون من رحيقه المختوم، وسلسبيله الفيّاض، والحمد لله على كلّ حال.

2) **الطّبعة الثّانية**: من المركز سابق الذكر، وصدر جديداً في مطلع عام 2019م مطبوعاً بكافّة أجزائه على الوجه الأحسن والأكمل والأفضل.

3) **وطبع** تفسير "ضياء النّيّرين" كذلك سابقاً في طنجة بمطبعة المملكة المغربيّة، وطبع الجزء الأوّل بدار التّحرير أيضاً بالجمهوريّة العربيّة المتّحدة.

تفسير ضياء النّيّرين ومكانته بين كتب التفسير.

يعدُّ تفسير ضياء النّيّرين من أروع التّفاسير، وأجودها، وأعمقها، وأشملها من النّاحية العلميّة؛ وذلك لما يحويه من العلوم التي تمسّ إليه الحاجة اليوم ما لم يحوه غيره، كما أنّه يغني الباحث في التّفسير عن غيره من التّفاسير الأخرى، فهو بحقّ كما وصفه مؤلّفه بقوله: "ولئن نظرتَ بعينِ العلم والإنصاف، واعتبرتَ مطابقة الموصوفات مع الأوصاف، وسَلِمْتَ من حسد جامح، أو جهل بقلبك طامح – علمتَ أنه اسم طابق مسماه، ولفظ بديع الشكل صادق معناه؛ لأنك ترتع منه في رياض وارفة مؤنقة، وسلسبيل مياه عذبة المورد مغدقة: من مذاهب فقهاء الأمصار وفتاويهم التي استنبطوها من القرآن، وأقوال المحققين من الصّوفية التي فهموها من الفرقان، ونُبَذٍ من آراءِ العلماءِ، وعشاق الجمال من الحكماءِ، التي يشير إليها الكتابُ، ويُنبه عليها فصلُ الخطاب؛ مما يتأكد علينا معرفته اليوم، ويتوجه إلينا في التقصير عن تحصيله اللوم. لعل التلويحَ إليه يكونُ سببًا لإيقاظ قلوب بعض الطلبة

من أهل هذه الأقطار، فينتبهوا لما عليه النهضة العصرية لعلماء الأمصار، ويتداركوا بعض ما فاتهم من علوم هذه الأعصار[1]".

يقول: دكري فودي[2]: لقد نال هذا الكتاب شهرة وتأييداً كبيراً، وحظي بمكانة مرموقة لم ينل ولم يحظ بها كتاب تفسير كتبه سنغالي قبله فيما أعلم.

وممّا يدلّ على مكانة تفسير "ضياء النّيّرين" بين كتب التّفسير ما أولته الحكومة السّنغاليّة من تأييد له في القيام بطباعته بدءاً بالرّئيس الأوّل للدّولة بعد استقلالها في عام 1960م، وهو سنغور، حيث أعطت الحكومة -تحت إشراف السّيّد محمد جاه- أمراً يأمر يأذن بطباعة الكتاب، وبعث المخطوط إلى طنجة بالمغرب لطباعته، وبعد وصوله إلى المطبعة طلب القائمون بها من الحكومة السّنغاليّة الإذن بالطّباعة، وبعدها بسنة بعثت الحكومة ردّاً يقضي بالموافقة على طلب المطبعة، وذلك في عام 1961م، وهو السّيّد انجاي إلى طنجة، ولمّا وجدوا الكتاب ضخماً على هذا الحجم اعتذروا ورفضوا الطّلب.

وبعد ذلك بعامين على وجه التّحديد في عام 1962م حوّلت المخطوطات إلى القاهرة بمصر في جامعة الأزهر، وكان رئيسها آنذاك محمود شلتوت، وطلبت منهم طباعتها، فطلب الرّئيس أوّلاً وقبل كلّ شيء بمراجعة الكتاب، فاختاروا 12 عالماً، كلّاً في مجال تخصّصه، ولمّا لم يجدوا فيه أيّ خلل ورأوا جودته، أعجبوا به كلّ إعجاب.

هكذا بقي الكتاب في مصر فترة طويلة إلّا أنّ الرّئيس سنغور في فترة رئاسته للدّولة أمر بطباعة ثلاثة مجلّدات منها، وإخراجها ثمّ تصديرها وبيعها، وأمر السّيّد عبدو جوب هو كذلك بطباعة مجلّد واحدٍ وإخراجه وبيعه[3].

---

(1) انظر: دم أحمد بار، **ضياء النّيّرين الجامع بين علوم الطّائفتين**، النّاشر: مركز الدّولي للدعوة الإسلامية-ديربان-جنوب أفريقيا، عام 2019م ط2، ج1، (ص: 2)، و ماني محمد الحاج، **الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم**، الناشر: المؤلّف 2015/08/10م، (ص: 32).

(2) ينظر: **المصدر السّابق**.

(3) ينظر: **جريدة الشمس السنغالية**، عدد شهر أغسطس، يوم السبت 23/ عام 2008م، نقلاً عنها بواسطة دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 27-28).

بقي وضع الكتاب على الحالة المذكورة حتّى جاء حاء عهد السيّد الرّئيس المحامي عبد الله واد الذي تولّى رئاسة الدّولة فأخذ على نفسه عهداً وعد به أمام نجل الشيخ الأكبر وهو محمد أحمد دم – رحمهما الله- في مناسبة الحفلة السّنويّة التي تقام كلّ سنة في سوكون، مفاده القيام بالبحث عن مخطوطات الكتاب والعثور عليها، والتي ذهبت منذ عام 1959م، ثمّ استردادها واسترجاعها إلى السّنغال، وفعلاً أخذ السّيّد "واد" الأمر بجدّ، وأوفى بوعده، وأمر البروفيسور إبادير اتيام الذي كان وزيراً أسبق للتّربية والتّعليم، أمره بالقيام بثلاث مهمّات في الأزهر، وفي النّهاية سافر الأستاذ إبادير إلى جنوب إفريقيا فوجد المخطوطات هناك في معهد الشيخ ديدان الذي قام بمراجعة الكتاب، فوجدوه من النّاحية العلميّة والفنّيّة كتاباً قيّماً وأذن بطباعته[1].

لقد اعترف السّيد الرّئيس "واد" بجهود الأستاذ إبادير اتيام الكبيرة، وأثنى على قيامه كذلك بهذا العمل النّبيل والشّريف؛ الأمر الذي دفعه إلى استقباله هو بنفسه عند عودته، ومعه جمع غفير من النّاس، تعبيراً عن فرحهم[2].

ولمّا وقف عبيد ربّه أحمد بن محمّد بن حبيب الشّمشوي على تفسير "ضياء النّيّرين" سنة 1364هـ كتب ما نصّه: "هل شعرت غرب إفريقيا الغربيّة بهذا الشّرف الذي نالته؟ وهل استعدّت لاستقبال طلوع هذه الشّمس المضيئة فيها؟ وبزوغ هذا القمر المنير منها؟، وهل عمها وسيعمها إن شاء الله تعالى عن قريب عرف ذلك الطّيب الفائح، وبهاء ذلك الحليّ الذي ستتحلّى به؛ ذلك أنّه أطل زمان بروز تفسيره "ضياء النّيّرين الجامع بين علوم الطّائفين"، وحانت أيّام طلعته مائلاً أمامنا معاشر المسلمين السّنغاليّين والموريتانيّين، فنصبح ولنا به الفخر العظيم، ونمسي وقد تمّ به القصد والمراد[3]".

([1]) ينظر: **المرجع السّابق**.

([2]) ينظر: **المرجع السّابق**.

([3]) ينظر: ماني محمد الحاج، **الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم**، الناشر: المؤلّف 2015/08/10م، (ص: 42)، **وجريدة الشمس السنغالية**، عدد شهر أغسطس، يوم السبت 23/ عام 2008م، نقلاً عنها بواسطة دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 29).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعفوه تغفر الزلات والخطيئات، وبتوفيقه وتيسيره تقضى الحاجات، والصلاة والسلام على نبينا محمد خير البريات، وعلى آله وصحبه أولوا البرّ والطاعات، وعلى التابعين وتابعيهم بالحسنات.

أحمده -جلّ في علاه-أن يسّرني بمنّه وإحسانه وتوفيقه إتمام هذا البحث، وكلّي أمل ورجاء في أن أكون قد وفّقتُ في اختيار الموضوع، وسددتُ في تناوله، وعرض مباحثه بما يحقّ الغاية من مثل هذه الأبحاث التّأصيليّة، كما أسأله سبحانه أن يرزقني الإخلاص والتوفيق والسداد.

الدروس المستفادة:

1- ظهور آثارالشيخ العلامة أحمد دم الكثيرة التي خلّفها بعده، ممّا جعل الباحثين المعاصرين الآن يهتمّون بدراسته تراثه العلمي التّليد، ذات الإرتباط بالقرآن، والحديث وعلومه، والتّوحيد، واللّغة والأدب، وعلم الحساب.

2- مكانة تفسير "ضياء النّيّرين" بين كتب التّفسير، خاصّة في قارة أفريقيا الغرب؛ حيث نال هذا الكتاب تأييداً كبيراً في الآونة الأخير، وحظي بمكانة مرموقة لم ينل ولم يحظ بها كتابُ تفسير كتبه سنغالي قبله فيما أعلم.

3- وضوح خدمة الشيخ لعلم التفسير أكثر من خدمته لبقية العلوم، وأكثر اهتمامه كان في نطاق التفسير وعلوم القرآن.

4- الهمّة العالية للشيخ، حيث قد قضى مدّة ليست قصيرة؛ تصل لاثنتين وعشرين عاماً في تأليف تفسيره: :ضياء النّيرين الجامع بين علوم الطّائفتين" والذي كنّا بصدد دراسة منهج تفسيره فيه في رسالة دكتوراه خاصة، سّجلت بجامعة المدينة العالمية/ ماليزيا.

5- ظهر جليا أن الشيخ في تفسيره هذا جمع فيه علوماً شتّى وفنوناً عديدة، في مجالات متنوّعة، فهو كتاب يقع في عشرين مجلّداً، حافلا بمصادر كثيرة قيّمة رجع إليها الشيخ أثناء تأليفه له.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن مهران العسكري، **معجم الفروق اللغوية**، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، 1412هـ (ص: 332).

- أحمد التميمي، **السبعة في القراءات**، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، 1400هـ.

- بن فارس، **مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.

- **جريدة الشمس السنغالية**، عدد شهر أغسطس، يوم السبت 23/ عام 2008م.

- دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م.

- دم أحمد بار، **ضياء النّيّرين الجامع بين علوم الطّائفتين**، النّاشر: مركز الدّولي للدعوة الإسلامية- ديربان- جنوب أفريقيا، عام 2019م ط2، ج1.

- صمب عامر: **الأدب السنغالي العربي**، الناشر: الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط: 1978م ج1.

- ماني محمد الحاج، **الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم**، الناشر: المؤلّف 2015/08/10م.

- نشوان الحميري، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999م.